التطوع بين فكرتي الفطرة والصنع

الباحثة ماجدة ملاّك
دكتوراه في القانون الدستوري والعلوم السياسية
كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية السويسي
جامعة محمد الخامس، الرباط
المغرب

الملخص

إن التصرف فيما باليد لليد الأخرى يحتمل وجهان، الأول هو شد اليد وعدم الفعل والثاني هو مد اليد وتجسيد الفعل، بحيث يكون الأول سلبيا بينما يعتبر الثاني إيجابيا، وهنا يتم الحديث عن فكرة التطوع والتي تعني الإقدام على عون أفراد آخرين جراء مجابهتهم لمخاطر فجائية، أو حتى بدون وقوع حدث يستدعي تقديم المساعدة لأنها تساهم بعوائد نوعية من حيث بناء الذات والمجتمع. غير أنه من الممكن أن تتولد تصرفات أخرى تحول دون تحقيق الغايات المرجوة نتيجة النزعة الفردية واحتكار المال والأعمال.

تقتضي الفطرة الاسهام في التضامن بشكل مباشر وتلقائي وحر، أما صناعة التطوع هي تطوير لفكرة التطوع نفسها، وكذا نقلها لأجيال أخرى. في الواقع يعد العمل التطوعي الفردي أكثر سلاسة وذو بعد هوياتي نموذجي وجوهري مقابل التطوع المؤسساتي بحيث يجب أن يكون الفرد متشبعا بالثقافة التطوعية قبل المؤسسة، لأن المؤسسات بنيات جامدة بلا عاطفة، بيد أن الفرد جزء من المؤسسات وبالتالي يمكن القول أن الجذور القيمية هي الأصل، كما أن صناعة الفعل التطوعي ليست كلها صناعات تنطوي على ما هو سلبي، لكن ما يجب أخذه بعين الاعتبار هي خصوصيات المجتمع وطبيعته والحذر من الحداثة التي لا تراعي نقل تجربة ما بما لا يتوافق مع مكونات وأصالة المكان المنقولة إليه.

الكلمات المفاتيح: العمل التطوعي، الفطرة، الصناعة، الثقافة، بناء الذات والمجتمع.

مقدمة

إن التطوع هو عمل اجتماعي وسعي يقوده الفرد انطلاقا من اقتناعه الشخصي، بمبادرته وإرادته لأجل تقديم خدمات معينة مندرجة في سلم اهتماماته، كما قد يختار ممارسة التطوع بفردانية تحريا للسرية والخفية عن أعين الناس عند العطاء بغية الاخلاص في العمل [1]، وهو استعداد من بين مجموعة من الاستعدادات التي تولد مع الإنسان والتي تعكس القدرة الشخصية على الاستجابة الجماعية ومن ثمة استبطان فكرة القدرة على الصمود بحيث تكون القدرة على التأهب للأحداث التي تشير إلى الصدمات وحالات التوتر المعطلة للنظام الذي يعمل بشكل عادي، تلك الصدمات هي الأحداث المفاجئة وغير المتوقعة التي من المحتمل أن تكون خطرة، تستوجب التخطيط لها واستيعابها والتعافي منها والتكيف معها بنجاح [2].

شهد العمل التطوعي تغييرات في مرتكزاته ووسائله بفعل التغييرات التي تحدث في الحياة العامة، فبعد أن كان الهدف الأساسي هو تقديم الرعاية والخدمة للمجتمع وفئاته أصبح من أهدافه الآن تغيير وتنمية المجتمع، ولا شك أن ذلك يتوقف على نجاح تحقيق الهدف وعلى مدى مصداقيته وجدية العمل التطوعي، وكذلك على مدى ما تتمتع به المجتمعات من رغبة في إحداث التغيير والتنمية[3]. إن التطوع في ذات الوقت وسيلة ومنبع لإعطاء قيمة تسريع السبب، إنها الطريقة الفضلى لشغل الهوايات وآلية للتغيير الاجتماعي. لقد أكدت فدرالية الكيبيك لمراكز العمل التطوعي أن التطوع يعزز التنمية الشخصية والمجتمعية بهدف زيادة الوعي المجتمعي من أجل تقديم الدعم والالتزام به من وسط إلى آخر، كما أن التطوع مؤشر للتقدم المجتمعي (Rouseau 1982) ويساهم في تقوية المجتمعات، وحامل وحامي مهم للتغييرات باعتباره مصدرا لحلول المشاكل المجتمعية[4]. يمكن إجمال أربعة عناصر أساسية مهم اختلفت حولها خطابات العمل التطوعي في ما يلي:

- عنصر اجتماعي: تقوية التكافل والتضامن المجتمعي
- عنصر اقتصادي: تعزيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية
- عنصر سياسي: تعزيز الحياة الديمقراطية ومساهمة مختلف المجموعات الاجتماعية في البحث عن الحلول لمشكلاتهم
- عنصر سيكولوجي: إمكانية التنمية الذاتية من خلال ما يتم الالتزام به.

يبدو أن للتطوع العديد من العناصر التي تتجاوز تحقيق هدف وحيد بل يتحدد للتطوع غايات وأبعاد متشعبة، هذه الحركة الاجتماعية عامرة بالقيم وفي نفس الوقت بالتنمية، تجعلها دعوة متجددة إلى التفاني في البذل والعطاء في سبيل سعادة الآخر وتقدم المجتمع، غير أن المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ومتطلبات الحياة العصرية، جعلت الحاجة إلى الجهود التطوعية مطلوبة أكثر[5]، مما توجب على الجهات المنظمة له أن تطور نفسها بصورة جمعيات وهيئات ومؤسسات حديثة تعمل بما يحقق الاستجابة للاحتياجات التنموية. يلاحظ أن كيفية الانتقال من التطوع كفكرة بسيطة تعبر عن مساعدة كيفما كان نوعها لمن يحتاجها كحالة فطرية سليمة وإنسانية، إلى التطوع كصناعة أو كفكرة منظمة تتولاها هيئة ما، وفي هذا المضمار يتم الحديث عن توسيع دائرة التطوع وتأطيره وتنظيمه وربما في أحيان أخرى تسييسه أو استخدامه سواء من الناحية الفردية أو الجماعية بصورة تبعد التطوع عن مبتغاه النبيل، وإرجاعه وسيلة لاستعراض النفوذ مثلا أو استغلاله بشكل من الأشكال.

ينبغي أن يطرح سؤال مهم هو هل يرسم ويشترك كل الأشخاص نفس الغايات التطوعية؟ أم لكل فرد أو مجموعة غايات مختلفة يبحث عنها خلال الفعل التطوعي.

إذا ما تمت الاجابة عن هذا التساؤل، سيتبين حقيقة التطوع، في كونها فطرة طبيعية صرفة، أم هذه الفطرة قد تعرضت للتحول في ظل التغييرات التي تشهدها المجتمعات، وهل هذا الانتقال فعلا خدم التنمية أم لا؟، أم هناك تمازج بين الفكرتين بحيث هناك علاقة تأثير وتأثر بين ما هو تنموي وما هو تطوعي.

الإشكالية المركزية:

تتمحور في البعد التنموي للتطوع سواء على الفرد أو المجتمع في ارتباطه مع فكرتي (الفطرة والصنع)، واستحضار تجارب مقارنة عن كيفية تعاطيها مع ثقافة التطوع، وتبيان العراقيل المحتملة، وسبل تكامل الفطرة والصنع تحقيقا للبعد التنموي وبناء مجتمع مرن وقوي يستطيع التكيف مع مخاطر العصر الحديث.

الهدف والأسئلة الفرعية:

يعمل هدف هذا المشروع لكشف العمل التطوعي في عمقه المرتبط بالعنصر الاجتماعي والسيكولوجي، والكيفية التي يساهم بها التطوع في بناء الذات والمجتمع تحقيقا لتنمية قوامها الاستمرارية.

وذلك من خلال الأسئلة التالية:

هل التطوع فطرة ويجب أن تبقى كذلك؟، أم هل التطوع عبارة عن صناعة تلتقي فيها المؤسسة والحداثة لتضفي على العمل التطوعي أشياء جديدة؟، هل تحافظ على فكرة الفطرة أم تبعدها عن فحواها أم تعززها وتساهم في تمريرها للأجيال المستقبلية؟ وهل من الضروري أن تكون هناك فكرة صنع التطوع أم الفطرة إنسانيا كافية؟

المنهج:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يزاوج بين الوصف والتحليل للعمل التطوعي وكذا تحليل المضمون الخاص بالتطوع وآفاقه الغنية.

الفرضيات:

- التطوع يجب أن يظل فطرة صرفة.
- صناعة التطوع ضرورة لا تؤثر على مضمون التطوع.

لقد تم تناول موضوع البحث في جزئين وفق التصميم الآتي:

الجزء الأول: البزوغ الفطري لفكرة التطوع ودوره في التنمية الفردية والجماعية

أولا: دور التطوع في تعزيز التنمية الفردية

ثانيا: ترسيخ العمل التطوعي تحقيق للتنمية الجماعية

الجزء الثاني: التحول من فطرة التطوع إلى فكرة صناعة التطوع سبل ورؤى

أولا: تنظيم التطوع ضرورة وليس خيارا

ثانيا: حدود الصناعة التطوعية واستسقاء التجارب الناجحة

الجزء الأول: البزوغ الفطري لفكرة التطوع ودوره في التنمية الفردية و الجماعية

ليس للأعمال العظيمة مكان أو زمان، وليس لأهل الخير والعطاء وطن أو جنس خاص من بني الانسان، فالسلوك النبيل والعطاء المخلص الكريم من الله تعالى في بعض خلقه، لم يؤثر بها شعبا دون غيره [6]، وسمو العلاقات في مراقبة واعية تروض الغرائز الذاتية، وتقيدها بالقيم الأخلاقية التي تشكل معايير استقامة البنية الاجتماعية بحيث تكون مصلحة المجمع فوق مصلحة الفرد "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة " الحشر: 9، والمساواة والتعاون " وتعاونوا على البر والتقوى" المائدة: 2، ومن القيم السامية قيمة علاقة الانسان بالمال الذي هو عصب الحياة، وهو الشهوة الكبرى التي تحرك حياة الناس وسر الصراع العالمي، إذ لا يجوز احتكار المال وحبسه عن تحقيق النفع والخير العام "كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم " الحشر: 7. ففي نفس الانسان فطرة حب الخير "كل مولود يولد على الفطرة .. " [7] حديث شريف.

أولا: دور التطوع في تعزيز التنمية الفردية

تمكن المشاركة التطوعية في تنمية الشخصية والمهارات والكفاءات [8]، كما تعمل على بعث الراحة النفسية، والاطمئنان القلبي على أداء عمل تجاه الغير، كما تمنح الثقة بالنفس والاعتزاز بها [9]، ومن أهمية العمل التطوعي أنه يستخدم لعلاج بعض الحالات النفسية، مثل الاكتئاب والانطواء، والقضاء على أوهام تعتري الانسان، لذا يكون للعمل الاجتماعي التطوعي فوائد شخصية هامة نظير أفعاله النبيلة، لأنها تجلب وترفع من جودة الحياة الشخصية [10]، ويمكن تصنيف السمات الذاتية التي يساهم التطوع في صقلها إلى سمات [11]معرفية أو مفاهيمية، سمات مهاراتية وسمات قيمية وجدانية. غير أن شرح هذه الصفات يجعلنا نذكر بتداخل ما هو فطري وما هو صناعة للتطوع، فالفطرة قد تقتصر على السمات القيمية والوجدانية وتصل إلى السمات المرتبطة بالمهارات، لكن ربما لا تصل إلى السمات المعرفية أو المفاهيمية لأن صناعة التطوع بشكله المؤسساتي تحكمه ضوابط إضافية تقنية وفنية، سيتضح الاختلاف بينهما من خلال تبيان فحوى كل من الأنواع الثلاث للسمات؛ النوع الأول تضفى عليه صبغة الدراية ومعرفة الالمام بمجموعة الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية التي تؤلف كيانه الحقوقي، والثقافة القانونية والتطوعية من السمات الأساسية للشخصية التطوعية الفعالة والايجابية، أما السمات المهاراتية تنقسم بدورها إلى مهارات عقلية وأخرى خاصة بالمشاركة، الأولى تنضوي تحت القدرة على التفكير الناقد، والتعبير والتفاوض والقدرة على فهم وتفسير الأفعال، والقدرة على تكوين آراء حول مختلف القضايا والدفاع عنها، أما عن مهارات المشاركة فهي قدرات على التفاعل والمراقبة والتأثير، عبر التواصل والاحساس بالآخر. فيما تعبر السمات القيمية والوجدانية عن قيم الارادة الحرة، حق الاختيار، تحمل المسؤولية الفردية وميل الانسان إلى احترام قيمة الفرد وكرامة الانسان.

إن التطوع كفطرة سليمة موجودة منذ خلق الانسان، بل إنها خصلة مصاحبة للإنسان في جميع مراحله العمرية تبنى وتصقل، وتوفر إلى جانب مفهوم التنمية – الذي يبتغي إحداث نوع من التغيير في المجتمع [12]، ذي الأشكال المختلفة سواء المادي الذي يرفع من المستوى الاقتصادي والتكنولوجي. أو معنويا يستهدف تغيير اتجاهات الناس وتقاليدهم وميولهم مراهنة على التغيير الايجابي بطبيعة الحال وصولا نحو تغيير السياسات والممارسات والمواقف –، مجالا ديناميكيا وخصبا لخلق هذه التنمية من خلال العمل التطوعي، غير ذي بعيد عن هذه الأخلاقيات والتسامي التطوعي، وإجابة عن إحدى الأسئلة التي تم طرحها في التقديم والتي تمس الجانب السلبي وعن حقيقة أو دوافع كل فرد من التطوع وهل للجميع نفس الدوافع من التطوع؟ ، فالسعي إلى الحصول على المكانة الاجتماعية من خلال مزاولة التطوع، وحب الثناء والتقديم للمحافل والمجامع الشعبية وغيرها، من قبيل الحصول على الشهرة والثناء والأهداف الدنيوية الأخرى من العمل التطوعي فهي محرمة في الشريعة الاسلامية الغراء، وإن حصل بدون أن يقصد المتعاون أو المتطوع مثل هذه الأهداف الدنيوية فلا بأس بها[13].

ثانيا: ترسيخ العمل التطوعي تحقيقا للتنمية الجماعية

يعمل التطوع إلى جانب تطوير الجانب الذاتي على تقوية روح الانتماء والولاء للمجتمع والحرص على مصالحه، وإزالة أسباب التخلف وتوفير أسباب التقدم والرفاهية [14]، كما يهدف إلى دعم فئات المجتمع التي تعاني ظروفا صعبة ومساندتها وتخفيف معاناتها، والسعي الحثيث لخدمة المجتمع ونشر المحبة والسلام بين الناس في جميع أرجاء المعمورة [15]،مما يعزز الروابط ويسهم في مؤازرة المجتمعات وتحسين جودة الحياة.

يمنح العمل التطوعي فرصة كبيرة للتعارف والتواصل الانساني في أرقى حالاته ووسيلة لاكتساب الصداقات وتبادل المعارف والخبرات في جميع مجالات الحياة، ومن أهم فوائد العمل التطوعي تتمثل في كونه رديفا للاقتصاد العام، وعاملا مساعدا على تحقيق التنمية المستدامة، والتأسيس لانتشار ثقافة الخيرية المجتمعية بما يؤدي إلى تعافي المؤسسات والشركات بكل أنواعها ونهوضها بما يعود بالفائدة والازدهار على الجميع.

يجب تصحيح مفهوم العمل التطوعي العام، الذي لا يشترط فيه أن يكون ضمن مؤسسة أو في مجالات معينة ، بل توسيع المفهوم ليشمل أي معروف أو إحسان بما في ذلك إماطة الأذى عن الطريق، أو إرشاد التائه، أو سقاية الحيوان العطشان، هذه الوجوه بهذا الأفق الواسع تدخل في آثار تنمية المجتمع ورقيه في حالة ما إذا تحول إلى ثقافة عامة، وكان الجميع يخدم الجميع ويسعى لكمال المجتمع [16]، بدون إغفال جانب مهم جدا والمرتبط بفترات الحروب والكوارث حيث يتم التخفيف عن مآسي بني البشر، حيث يمكن التمييز بين سياقين زمنيين حكمت فيه العمل التطوعي ثقافتان مختلفتان[17]، الأولى تعتمد على الاغاثة والاحسان، والثانية على التضامن والتعاون في ظل التطورات السياسية المتلاحقة في العالم التي أخذت روح التضامن والتنمية تحل مكان العمل الاحساني.

الجزء الثاني: التحول من فطرة التطوع إلى فكرة صناعة التطوع سبل ورؤى

لا شك أن الفطرة السليمة الحسنة معطى تشترك فيه الانسانية، قبل أن يمسسها تحول يحول دون أن تبقى كذلك، تطور مفهوم التطوع كثيرا بفعل التحولات المجتمعية غير أن ما يجب التركيز عليه هو الانسان، وذلك بتشجيع وتنمية هذه الفطرة حتى تقويمها بشكل يتجاوب مع التحديات المختلفة التي تواجهها البشرية جمعاء، فيمكن الاعتماد بشكل كبير على خصائص التطوع وغاياته لتوجيهه للعمل على بناء الذات والمجتمع. سيما أن التطوع شكل عاملا حاسما في إقلاع بعض المجتمعات [18]، على سبيل المثال في أمريكا عندما يتقدم شخص لشغل وظيفة معينة، فإن الجهة المعنية بالعمل أول ما تنظر في سيرته الذاتية ما يقدمه من عمل تطوعي، قبل ما يتمتع به من مؤهلات علمية، وعلى السبب الأول تقرر الجهة الموظفة قبوله من عدمه، فمن كان سخيا ومعطاء في العمل التطوعي الذي لا يتقضى عليه أجرا، فسوف يكون أكثر عطاء إذا تقاضى أجرا [19]، وهذا نموذج كافي ليبين قيمة التطوع البالغة الأهمية في خلق الاختلاف والرقي المجتمعي.

أولا: تنظيم التطوع ضرورة وليس خيارا

لم يعد العمل التطوعي قاصرا على الأعمال الخيرية فقط، ولكن أصبح يشمل مفاهيم وأبعادا لم نألفها من قبل، أهمها مفهوم المشاركة السياسية والحكومة الرشيدة [20]، فالعمل التطوعي المؤسسي أكثر تقدما من العمل التطوعي الفردي وأكثر تنظيما وأوسع تأثيرا في المجتمع [21].

يوزع التطوع المنظم مصادر القوة والعمل في المجتمع، ويمنع احتكار الخدمات والواجبات من جهة واحدة؛ رسم إطار ينظم الناس في المشاركة وتطوير أوضاعهم بما يمكنهم من المشاركة الفعالة، و تأهيل من لا خبرة له في الأعمال التنموية، إذ يساعد التطوع على تماسك المجتمع وذلك من خلال تخفيف المشكلات الاجتماعية التي تواجه المجتمع المحلي مما يؤدي إلى زيادة رضا الناس وإشباع حاجاتهم وينعكس ذلك بالتالي على تكامل المجتمع وتماسكه [22].

تمت سلسلة الانتقال من فطرة التطوع عبر التاريخ بأشكال مختلفة فردية أو جماعية بدأت تتبلور بداية عبر خلفية دينية، من خلال تركيز الأديان على العطاء ومساعدة الفقراء والمحتاجين، ونصرة المظلومين .. ومع بروز الحكومات وتحديد مهامها، في القرن 19 مع البيئة الأوربية الصناعية، واندلاع الحروب، وما ولدته من مآس، شجعت كل هذه المعطيات على تأسيس الجمعيات والحركات التطوعية وتنفيذ أعمال إنسانية للقيام بدور لا تمارسه الحكومات [23]، قد أشار علماء الاجتماع لشكلين من أشكال العمل التطوعي الذي يأتي استجابة لظروف طارئة أو لمواقف أخلاقية أو إنسانية من قبيل إسعاف جريح أو إنقاذ غريق، وبين الفعل التطوعي المنظم؛ يحتاج هذا الجهد المنظم ليصل إلى قنوات تجعل من هذا العمل يصب في صالح الأهداف الانسانية، لكن هذا الجهد المنظم لا يستشف من خلال الفردية أو العشوائية، بل من خلال فكر إداري يعتمد المؤسسية، وهي في الأدبيات الادارية أن تكون منهجية العمل وفقا لوضع استراتيجيات وسياسات وخطط مدروسة [24].

من الضرورة صياغة قالب تنظم فيه الأعمال التطوعية، ناهيك عن المسألة القانونية التي لن نخوض فيها. يجيب التطوع عن أكثر الظواهر حساسية في المجتمع الفقر، المسنين[25]، كل الفئات التي تعاني الضعف والتهميش، فوضع برامج مخصصة ومستهدفة لكل ظاهرة أو واقعة معينة يقوي من فرص إيجاد الحلول لها ومن توفير شراكات وتعاون وتنسيق، مما يعني فتح كل إمكانيات الوضع والتتبع، وبالتالي الحصول على نتائج مهمة.

ثانيا: حدود الصناعة التطوعية واستسقاء التجارب الناجحة

في الواقع سيتم البدء في هذا الشق تحليل قدرة العمل التطوعي على صنع التغيير، ثم الكشف عن بعض الممارسات السلبية التي تفرغ العمل التطوعي من محتواه وتجعله بصيغة بعيدة كل البعد عن قيمته وأهدافه. هناك ثنائية تتعلق بالتنمية البشرية والعمل [26]، بحيث يستحق العمل التطوعي وكذلك الابداع والابتكار اهتماما خاصا، فالعمل التطوعي بحكم طبيعته يعبر عن حرية الخيار والقدرة على التغيير. والمتطوعون يستفيدون من عملهم إذ يرون فيه بذلا للذات من أجل الآخرين، أو إثراء لشخصهم يستمدونه من الانخراط في المجتمع، فالمشاركة في الأنشطة التطوعية تمكن الناس من المساهمة في مجتمعاتهم وفي الخير العام بطرق قد لا توفرها الأسواق أو المؤسسات العامة.

يملك المتطوعون الطاقة على الابتكار، ويمهدون السبل لأساليب جديدة للعمل وتنظيمه، عملت فووانجاري ماثاي التي فازت بجائزة نوبل للسلام عام 2004 على تعبئة الحركات الشعبية من أجل التنمية المستدامة والديمقراطية وحقوق المرأة، والسلام. وكان لعملها تأثير كبير في إعداد خطة التنمية لما بعد عام 2015، الشيء المهم أن المنظمات التطوعية باستطاعتها مد الجسور بين السياسي والجغرافي والثقافي، وتنسيق الجهود الدولية وحشد التضامن دعما للقضايا الانسانية. وهذه خاصية لا تستطيع الفردانية فعله وحتى إذا كانت ذات تأثير فحتما لن تكون نتائج عمله كنتائج العمل المنظم الجماعي العابر للحدود والمذوب لكافة مظاهر التمييز. بل إن العمل المنظم كما جاء أعلاه يقوي من إمكانيات الابداع في العمل وابتكار طرق للتطوع بشكل يجعل المتطوع راضيا ويحقق لنفسه أمنا نفسيا وكذا للمستفيد من التطوع، في اتجاه تكاملي تضامني يحقق أقصى تنمية وتغيير ممكنين.

يكون العمل التطوعي على شكل جهد أو وقت أو مال أو خبرة، بل إن بعض الممارسات تبنتها شركات كبرى كمبادرات اجتماعية مؤسسية من أجل مساندة القضايا الاجتماعية؛ من ضمنها: تقديم الدعم للمدارس الحكومية المحلية، تقديم هبات نقدية، توفير التدريب الوظيفي لطلاب المدارس الثانوية، ... وغيرها، بحيث يتموقع مقياس المسؤولية الاجتماعية ضمن المقاييس– الكثيرة لنجاح إحدى الشركات والتي تعتبر أشدها وضوحا الربحية وقيمة السهم[27]– معيارا مهما مسؤولة عنه هذه الشركات.

أما عن التجربة المغربية نحيل على مؤسسة محمد الخامس للتضامن، بغرض محاربة كل أشكال الفقر والتهميش الاجتماعي، والعمل بجميع الوسائل، وخاصة عن طريق التضامن، من أجل تقديم المساعدة للأشخاص المعوزين، أو لمن هم في وضعية اجتماعية هشة. هدفها

هو أن تكون رافعة للتنمية الاجتماعية. فضلا عن وضع برامج مساعدة ودعم لفائدة الأسر المحتاجة وكذا لفائدة الجمعيات والمؤسسات التي تروم نفس الأهداف [28]، ومن مجالات تدخلاتها: تأمين الحماية للساكنة في وضعية هشة، القيام بعدة عمليات انسانية كتوزيع المواد الغذائية والألبسة ومساعدة ضحايا الكوارث الطبيعية وغيرها.

برز في هذا الشأن العمل التطوعي في العديد من البلدان كما أشرنا، كمثال في المملكة العربية السعودية تأسست جمعيات و مؤسسات في مجالات الطب والتمريض والدعوة والاغاثة وجمع التبرعات و الزكوات، كما تعد هيئة الهلال الأحمر السعودي مثالا حيا على العطاء والبذل [29].

يمكن للتطوع أن يصل إلى التبرع بالأعضاء، إلى غاية الوقاية من حالات الانتحار. أو محاربة الآفات المتعلقة بالمخدرات [30]، هناك العديد من التجارب الناجحة للتطوع لا تكفيها مؤلفات تمت الاشارة لنقطة منها لأنه لا يهمنا عددها، وإنما لمحة عن استطاعتها تغيير المجتمعات، غير أنه بالرغم من هذه الصناعة التطوعية الهامة هناك تقريبا نفس العوائق التي تعترضها منها: قلة الوقت على ضوء المسؤوليات، وكذا قلة المعلومات حول فرص التطوع وكيفية المشاركة فيها، مشاكل التمويل [31]، عدم الالتزام، غياب مبدأ المشاركة ، عدم وضوح الأهداف أو تسخير هذه الأخيرة لغاية سياسية (التأثير في الاختيارات الانتخابية مثلا)، أو غاية فردية صرفة نابعة عن أنانية ما. ناهيك عن استغلال وسائل التواصل الاجتماعي اليوم أكثر من أي وقت مضى في نشر حالات مستضعفة من أجل الظهور وكسب المشاهدات، بدلا من احترام خصوصيات المجتمع، مما يكرس لممارسات تطوعية مشينة تشجع على تبديل "حالة العون" ل"حالة السخرية" وانتهاك حقوق الانسان.

خاتمة

على سبيل الختم، يمكن القول أن التطوع عامل جوهري ليس فقط لبناء الذات وإنما للرقي بالفرد والمجتمع وإعطائه تلك القيمة المضافة المميزة القيمية والأخلاقية، وأساسا إذا كان كل فرد يتمتع بقدر من المسؤولية العالية والوعي اللازمين تجاه ذاته وتجاه مجتمعه فالنتيجة هي تكوين مجتمع يمتلك نفس الصفات، خصوصا إذا توافقت دوافع الأفراد حيث يعتبر العمل التطوعي وسطا خصبا لا يشبه أي وسط آخر في قدرته على توفير كل فرص الابداع والابتكار في كيفيات تقديم المساعدة والتضامن.

ارتباطا بما سبق فصناعة التطوع لا تلغي الجانب الايجابي من الفطرة بل تنمي روح الخدمة الانسانية وتجعلها أكثر فاعلية، فعل التطوع هذا يتيح في نفس الآن فائدتين؛ الفائدة الأولى هي ترك صدى يقيني مرضي للنفس، ثم منح صدى آخر للطرف المستفيد يقيني كذلك أنه يتواجد داخل مجموعة بها ما يبعث على مزايا التآزر والتماسك المجتمعي والتأكيد على هوية صامدة أمام التحديات المختلفة والمستجدة.

إذا غابت صناعة التطوع، فلا يجب أن تغيب أبدا فطرة التطوع، لأنها الأصل، بل إن هذه الأخيرة يمكنها أن تفتح آفاقا كبرى لصناعتها في حالة إبداء الاستعداد الدائم على التطوع، في حين يمكن للحداثة أن تخدم التطور بشكل يغطي كافة العوائق التي قد تواجهها العمليات التطوعية وتسهيلها.

ينبغي للتطوع أن يصبح فلسفة حياة لدى كل فرد مهما بلغ من العمر، تتناقلها الأجيال وتحث عليها، باعتبارها سمة أخلاقية مصاحبة للإنسان، قبل أن تكون موضوع تخطيط. أو موضوع رقعة جغرافية معزولة، فالأمر لا يعدو أن يكون مؤثرا على البشرية جمعاء خاصة مع المشاكل التي تقف اليوم أمام الدول، منها المشاكل المناخية ومشاكل الهجرة وغيرها.

الهوامش:

[1] جابر أحمد برزان " **العمل التطوعي** "، الجنادرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2017، الصفحة: 35.

[2] أنظر: " **الرابط الذي يجمعنا التطوع وقدرة المجتمعات المحلية على الصمود** " تقرير حالة التطوع في العالم 2018، برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين. الصفحة: 2.

[3] صالح بن حمد التويجري "**التطوع ثقافته وتنظيمه**"، دار مملكة نجد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2013، الصفحة: 16.

[4] Eric Gagnon, Andrée Fortin , Amélie –Elsa Ferland-Raymond , Annick Mercier « **l'invention du bénévolat Genése et institution de l'action bénévole au Québec** » , presse de l'Université Laval , 2013 , page: 128

[5] فيصل محمود الغرايبة " **أبعاد التنمية الاجتماعية العربية في ضوء التجربة الأردنية** "، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الصفحة: 141.

[6] أنظر: محمد بن أحمد الرشيد " **حتى لا تذبل قيمنا** "، العبيكان للنشر فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، المملكة العربية السعودية الرياض الطبعة الثالثة 2014، الصفحة: 216 و17 وما بعدها.

[7] محمد محمد قاروط " **الانسان والنفس في ضوء الكتاب والحديث** "، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الصفحة: 98.

[8] منشور ل2021 oecd مراجعات حوكمة القطاع العام لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادي " **تعزيز استقلالية الشباب في تونس وثقتهم** "، الصفحة: 120.

[9] عبد الرحمان أحمد سيف " **تنمية روح القيادة روح الشباب** "، دار معتز للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2017، الصفحة: 82.

[10] Xavier Flawinne et Sergio Perelman «**la vie après 50 ans – faits marquants révélés par l'enquête européenne SHARE**», presses universitaires de Liège 2021, page: 282.

[11]محمد ياسر الخواجة " **المجتمع المدني وتنمية الرأس مال الاجتماعي** "، نيو بوك للنشر والتوزيع، الصفحة: 49 وما بعدها.

[12] أنظر: شهدان عادل عبد اللطيف الغرباوي " **التنمية المستدامة ما بين أطر التنمية الاجتماعية والاقتصادية وعلاقتها بالموارد البشرية** "، دار الفكر الجامعي الاسكندرية 2020، الصفحة: 5.

[13] محمد مبارك عبد الستار المدني " **دور المسجد في تنمية قيم التعاون والعمل التطوعي في المجتمع** "، BFC PUBLICATIONS، الصفحة: 67 و68.

[14] هناء حسني النابلسي " **دور الشباب الجامعي في العمل التطوعي والمشاركة السياسية** "، دار مجدلاوي للنشر المكتبة الوطنية المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الأولى 2010/2009، الصفحة: 90.

[15] بدر الحسين " **صناعة الأفكار** "، مكتبة العبيكان، الصفحة: 103.

[16] مصطفى بوهبوه " **العمل التطوعي في ميزان القرآن والسنة** " ضمن " **العاملون للإسلام ووسائل الثبات على الحق** " مجلة رواء العدد الحادي عشر، الصفحة: 60.

[17] كامل مهنا " **في التطوع والمجتمع المدني** "، دار الفرابي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2013، الصفحة: 13.

[18]...كيف استطاعت ألمانيا المنزوفة الدماء سنة 1945 م، أن تدهش العالم بنهوضها العجيب من جديد سنة 1955م،.. هذه الأعجوبة لم تحدث من تلقاء نفسها، ولا بطريق الصدفة، إنها نتيجة العمل التطوعي، المتمثل في ذلك (العمل الآلي) الذي انخرط فيه الشعب بأكمله، حيث قام كل ألماني – سواء أكان رجلا، أو امرأة، أو طفلا – بتقديم ساعتين إضافيتين من العمل إلى وطنه، وهذا الرأسمال الضخم المتجمع من ساعات العمل هو الذي صنع تلك المعجزة..

المرجو العودة ل: مالك بن نبي " **مشكلات الحضارة القضايا الكبرى** "، دار الفكر المعاصر لبنان، الصفحة: 105.

[19] أنظر: محمد زين العابدين عبد الفتاح " **مؤسسات المجتمع المدني الواقع والطموح** "، دار غانم الثقافية، الصفحة: 61.

[20] صالح بن حمد التويجري " **التطوع ثقافته وتنظيمه** "، مرجع سابق، الصفحة: 125.

[21] جابر أحمد برزان " **العمل التطوعي** "، مرجع سابق، الصفحة: 88.

[22] فيصل محمود الغرايبة " **أبعاد التنمية الاجتماعية العربية في ضوء التجربة الأردنية** "، مرجع سابق، الصفحة: 149.

[23] كامل مهنا " **في التطوع والمجتمع المدني** "، مرجع سابق، الصفحة: 9.

[24] انظر: صالح بن حمد التويجري " **التطوع ثقافته وتنظيمه** "، مرجع سابق، الصفحة: 26 وما بعدها.

[25] نشير هنا إلى تجربة تسمى: الصديق المتطوع والذي يقوم بمساعدة المسن لكيلا يبقى وحيدا، تقويته إيجابيا، إعادة ثقته بنفسه والاثناء عليه عندما ينجز مهمة معينة...

أنظر: Myrna Reis, Daphne Nahmiash « les mauvais traitements à l'égard des personnes âgées: un manuel d'intervention » , les presses de l'Université Laval , page: 76.

[26] راجع: " **تقرير التنمية البشرية سنة 2015 التنمية في كل عمل** "، الصفحة 33 وما بعدها.

[27] المرجو الرجوع ل: مدحت محمد أبو النصر " **المسؤولية الاجتماعية للشركات والمنظمات** "، المجموعة العربية للتدريب والنشر، طبعة 2015، الصفحة: 81 وما بعدها.

شركة شل ودعمها حماية البيئة، شركة إيه تي آند للاتصالات تدعم الصليب الأحمر والمنظمات الخيرية، كوكاكولا تدعم قضية مرض الإيدز، نايك وغيرها... كأمثلة واقعية لمبادرات اجتماعية..

[28] المرجو الاطلاع على تقرير " **المغرب الممكن إسهام في النقاش العام من أجل طموح مشترك** "، 50 سنة من التنمية البشرية وآفاق سنة 2025، مطبعة دار النشر المغربية 2006 المغرب، الصفحة: 130و 131.

[29] صالح بن حمد التويجري " **التطوع ثقافته وتنظيمه** "، مرجع سابق، الصفحة: 214.

[30] عبد المجيد عمراني " **نداء إلى حضارة واحدة لعالم واحد** "، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الصفحة: 79.

[31] يمكن العودة إلى تجربة إحدى الجمعيات النسائية بدولة عمان حيث توضح رئيسة جمعية أن توسعة الأعمال بميزانية صغيرة غير ممكن، مع ملاحظة عزوف الناس عن التبرع لصالح أنشطة الجمعية..

عن: عزيزة الحبسي " **التمكين الاقتصادي والاجتماعي للمرأة في عمان** "، المنهل 2020، الصفحة: 84.